

ومنها ما هو مرصع بالجواهر . ويفرق السلطان في كل سنة على الممالك من حوائص الذهب والفضة شيئا كثيرا . وما زال الامر على ذلك الى ان ولى الناصر فرج . فلما كان في ايام الملك المؤيد شيخ قبل ذلك . ووجد في تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زينور لما قبض عليه ستة آلاف كلوة جهاركس (1) . وما برح تجار هذا السوق من بياض (2) العامة . وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصارت اكثر حوائته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الان من ملابس الاجناد .

ويتحتم على كذلك ان الاحظ ان الحياصة كانت تستعمل ايضا لدى النساء . فنحن نقسرا في كتاب الف ليلة وليلة (ط مكناتكن ، ج 1 ، ص 732) : وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر . ونقرا في موضع آخر (ط مكناتكن ج 2 ، ص 102) : فسحبت خنجرا من حياصتها .

الحيك او الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين في القاموس . ومع ذلك فانني اعتقد انهما من اصل عربي وانهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser . تسيه .

يقول مارمول في كتابه (وصف افريقيا ، ج 2 ، ص 4 . مج 2) في معرض حديثه عن بربر ولاية حاحة Héha اشد ولايات مملكة مراکش غربية : « ان النساء يرتدين نوعا من الازار (Unos alquiceles) وهذا الرداء اسمه (Hayques) quellaman hayques وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة ، ولكنه محروم من نعومتها » . ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك ، وهو يصف السرر والمنامات (Camas) : « بدلا من سراشف السرر (Savanas) يفرشون احد هذه الازر التي يسمونها كما قلت (حيك Hayques) وفي موضع آخر (ج 2 ، ص 83 ، مج 2) يقول واصفا مكناس : « والنساء يتجولن ملفوفات لفا تماما ببعض الازر البيض (Con unos alquiceles) الفضفاضة بافراط المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques ، بحيث لا يستطيع احد رؤية وجه احدى النساء » . واخيرا

(ج 2 ، ص 102 ، مج 3) نجده يتحدث عن سواد الناس في فاس فيقول : « اما اولئك اللواتي لسن من الفنى بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فانهن يرتدين الازر يلتفن بها :

(De aquellos alquiceles rebueltos al cuerpo) . ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ، مج 2 ، ص 28) عن نساء مدينة الجزائر انهن يرتدين ازرا بيضا لدى خروجهن من منازلهن (Unos mantos blancos) وهذه الازر مفرطة الفضفة ، وهي مصنوعة من الصوف الناعم او منسوجة من الصوف والحريز ، وهن يبدن ما في اطواقهن لجعلها غاية في البياض بفضل بذل الصابون بسخاء ، كما يعطرنها بالكبريت وباشياء اخرى . وهن يسميها Alhuyque الحيك . وهذه الازر هي كالملاحف التي سبق لنا ان تحدثنا عنها ، او هي شبه قطعة من الجوخ المربع طولها نحو ثلاثين شبرا وعرضها اربعة عشر او خمسة عشر شبرا . والنساء يلتفنن بهذه الازر ويملقن احد اطرافها على الصدر بمعونة بعض الابازيم او الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة ، وهن يطرحن جماع الازار على الاكتاف والراس ، اما الجانب الآخر ، وهو الطرف التحتاني فانهن يسترن به الذراع اليمنى . وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاما بحيث لا يبقى لهن الا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير . وهكذا فان هذه الازر تشبه بعض الشبه Une bourguignotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملا في نهاية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن السابع عشر ، حين كان يرتديه رجال السلاح . وعلى هذه الصورة يدرجن في الدروب مختبئات في ازرن اختباء تاما بحيث ان ازواجهن انفسهم لا يستطيعون تشخيصهن ، اللهم الا من اسلوب مشيتهن او عن طريق صواحبهن او مرافقتهن » .

ونجد بعد ذلك دييكو دي هيدو (ص 28 ، مج 3) يقول عن الامساء : « انهن يرتدين نفس الازر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن ، ولكن ازرن ليست على درجة جمال ازر مالكات رقبهن » . ويتحتمنا دابر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لاقليم افريقيا ، مج 2 ، ص 239) بتفاصيل

- (1) الكلوات الجركسية ذكرها المقريزي ، واوردها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين الممالك ، ص 138 ، ق 1 ، ج 1 .
- (2) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له في القاموس . وستجدون مثلا آخر في تعليقة على مادة قباء .

اقدام . ويضيف الى ذلك ان العربي يرتديه اثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته . ولكن دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هياه لنا هوست في كتابه (اخبار من مراكش ، ص 115 ، 116) : « يلبس الرجل في مراكش وفاس حيكاً Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الابيض ، يبلغ طوله عادة سبع اذرع ويصل عرضه الى ثلاث اذرع . والجميع يلتفون بهذا الازار ابتداء بالملك وانتفاء باهون مراكشي ، وهذا الارتداء يكون على انماط مختلفة : ومع ذلك فان اشيع هذه الانماط هو وضع الحيك على اتراس وطرح نهايته على الكتف اليسري ، كما بوسعتا ان نراه في اللوحة الثانية عشرة ، الصورة الاولى .

اما لدى المثول بين يدي الملك فيجب نزعه عن الراس ، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achât Errua اخط الروة (1) .

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص . فبصرف النظر عن امكانهم الاستغناء عن الملابس الاخرى فانهم يستعملونه بدلا من دثار السرير او شرشفه ليناموا فوقه ، علاوة على انهم يستعملونه استعمال الكيس ، حين يكون لديهم ما يحملونه . كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الانوف ، واخيرا يمكن استعماله ثوبا للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت ، خلال ساعات ، دون ان يضايقهم شيء . ولكنه يضايقهم اثناء العمل ، لانه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة . فترتب على ذلك انهم يخلعونه عادة اثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ . ويقول نفس الرحالة في موضوع آخر (ص 119) : « والنساء ايضا يرتدين الحيك ، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال . فهن يشدنها الى الصدر بابازيم من الفضة يسميها (بسيم) ويختفيها Chetfia وبينهما سلسلة . ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري . اما الفتحات فمن الجوانب ، واذا ارادت امرأة ارضاع طفلها فانها

قيمة من الحيك Le hayk ، خلال وصفه لازياء سفراء ملك مراكش وفاس ، الذين جئوا الى امستردام عام 1659 . واليك ما يقوله : « كان ابراهيم مانينو يلف حول جسمه ثوبا ابيض محوكا من الصوف المرسل ، الملوء بندف القطن من الجانبين ، ويبلغ طول هذا الثوب خمس او ست اذرع ، اما عرضه فذراع ونصف ذراع ، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمرأة في هذا البلد ، ولكنه يرتدى اكثر ما يرتدى لدى خروج صاحبه من منزله . واهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة ، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك ، كما يسمونه كساء Kissa . وتتدلى من الاسفل خيوط مبرومة على الاكثر او قياطين مفزولة بالمفزل ، يدعونها مرسله فيه اثناء الحياكة ، وتدعى لديهم (هـو Hudou) ، ويقول دابر بعد ذلك (ص 241، مج 1) ان احد خدم السفراء كان يرتدي حيكاً فضفاضا مصنوعا من قماش أسود غليظ . ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جوايا على مختلف الاسئلة الغربية ، ص 40 و 41) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بانها : « ازار من الصوف الابيض ، يبلغ طوله اربع او خمس اذرع وعرضه يصل الى ذراع ونصف الذراع . ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة الى موريتانيا ، ص 44) ويفسر هذه الكلمة بانها ازار . ويتحدث كذلك سان اولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية ، ص 90 ، 92 ، 94) عن هذا الازار الذي يسميه Hayick . ويكتب موت كلمة حيك هكذا : Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي ارشي ، ص 381 ، 384) . وفي الكتاب المعلنون (مهمة تاريخية في مراكش ، ص 519 ، مج 2) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque . ويكتب وندس الكلمة هكذا : Alhague في كتابه (رحلة الى مكناس ، ص 28 ، 30 ، 57) . ويتحدث شو ايضا في كتابه (رحلات الى بلاد البربر والشرق ، ج 1 ، ص 319) عن هذا اللباس . ويكتبه Hyke . ويقول ان طول هذا الثوب في العادة ثمان عشرة قدما وعرضه خمس

(1) اعتقد وجوب كتابة عقد الرواء ، لان كلمة رواء تبدو لي انها تشير الى عقدة . راجع (الكالا) حول : Lazo de çapatos

ص 138)، وكابردى همسو (مرآة جغرافية وإحصائية
للإمبراطورية المراكشية ، ص 81) والعقيد سكوت
(يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري ، ص 5)
والليدي كروفنر رحلة بحرية في البحر الأبيض
المتوسط خلال عام 1840) فتحدثوا عن هذا اللباس
وكتبوه على هذه الصورة Haick, hayk, hhaik, haik .

الخرقعة

تشير هذه الكلمة الى الثوب - او الى الرداء
الغليظ - الذي يلبسه الفقراء - ولاسيما المتصوفة
منهم في الشرق . ويقول المقرئ (تاريخ الاندلس -
منح غوتا - ص 201) عن احد المتصوفة انه كان :
« بركة لابسي الخرقعة » . وفي مخطوطة تملكها مكتبة
ليدن وتحتوي على عدة كنايش خاصة بالمتصوفة
(منح فارسية ، 1038 ، ص 22) نجد : در كريبان
خرقه نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حلیم
در مهان خرقه نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم

تخرج حلمة نديها من هذه الفتحة ، وهذا الوضع ملائم
كل الملازمة للطفل الذي تحمله امه على ظهرها ، وعلاوة
على ذلك فان النساء هنا ذوات حلقات كبيرة للغاية ،
ما دمن بافعات .

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين :

- 1 - القميص ، 2 - القفطان ، 3 - المنسرية ،
- 4 - الحيك مع الحزام (I) .

وكلمة حيك او حائك ذكرها الرحالة لمبرير في
كتابه (رحلة الى مراكش ، ص 39 ، 293 ، 295 ،
386) الذي كتب كلمة حيك هكذا Haick . كما
ذكرها علي بيك في كتابه (الرحلات ، ج 1 ، ص 16 ،
29 ، 73 ، 80) الذي كتب الكلمة هكذا Hhaik
وهناك عدة رحالين زاروا المغرب في أيامنا هذه أمثال
ريلبي (بوار تجارة السفن الشراعية الامريكية ، ص
407 ، 492) ، وجاكسون (تقرير عن مراكش ،

(I) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع بزائم ، وهي تشير بكل تأكيد الى كلمة
اكراف الفرنسية . وقد رأينا أنفا ان دييكو دي هيدو يتحدث عن (Hevillas) agrafes
التي بواسطتها تعلق النساء الحيك ، وعلى ذلك فان بيدرو دي الكالا يترجم في كتابه (مفردات عربية)
كلمة Hevilla الى كلمة ابزيم . ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ص 82)
كلمة Fibulae الى كلمة بزائم ، وتشير قواميسنا الى ان كلمة ابزيم تدل على كلمة Agrafe
مع حاملها .

وانني اعتقد بوجود كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية ، بالطاء ، وليس بالتاء . وسأجعلكم تلاحظون
ان حتف لا وجود له قط في اللغة العربية ، وان خطف على العكس من ذلك معروف وشائع ، وان
الاشتقاق بجانب افتراضي او زعمي . والحقيقة ان فعل خطف يعني Abriouit ، وان كلمة خطاف
هي سنان حديدي معقوف في نهايته صنارة ، ابزيم . وهناك كلمة عربية اخرى مشتقة من نفس هذا
الاصل ، وهي ، مثل خطفية ، لا وجود لها في القاموس . وأود ان اتحدث عن كلمة مخطاف .
يرى بيدرو (مفردات اسبانية عربية) ان كلمة مخطاف تقابل : Anzuelo (garavato) garavato
وتقابل كلمة مخطاف قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة ، او هي الصنارة ذاتها . والواقع ان
ابن بطوطة (الرحالة ، منح دي كايانكوس ، ص 234) يخبرنا ان عبید تجار الهند يحملون ما هو (عود
غليظ له زج حديد وفي اعلاه مخطاف حديد فاذا اعبا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض
وعلق حملته منه .

وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من احدى نهايتها بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني
مرساة . راجع الكالا في كلمة : Cayado de pastor عصا الراعي .

راجع كذلك دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي ، ص 103) .